

## المحاضرة السابعة

### معركة قادش : ذرورة الصراع المصري – الحثي على سورية

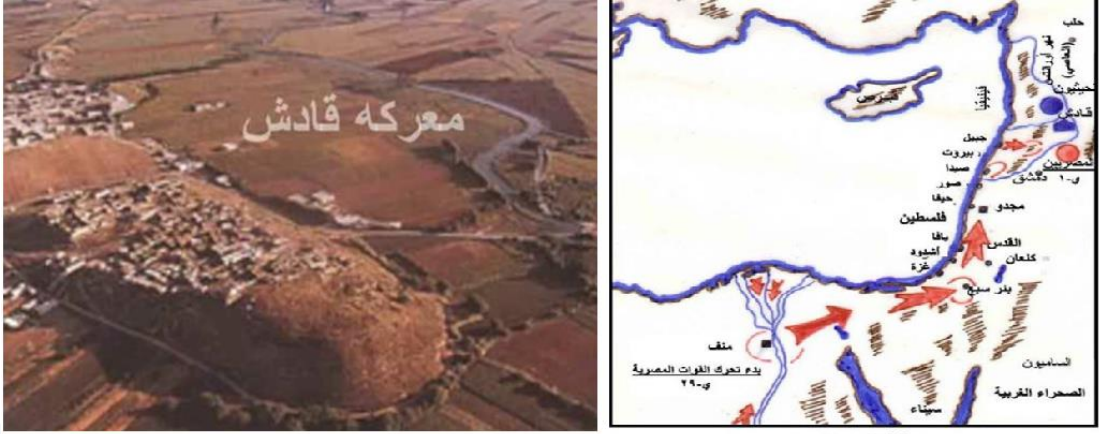
يعد شوبيلولوميا المؤسس الحقيقي للإمبراطورية الحثية الحديثة, تطلع بعد توطينه أموره الداخلية إلى شمال سورية لأسباب:

1. عنى المنطقة بالمنتجات الطبيعية والزراعية كالأخشاب والحبوب والخمور واليتون.
  2. السيطرة على الموانئ البحرية وطرق التجارة والمواصلات التي كانت تربط عالم بحر ايجة مع بلاد الرافدين.
  3. الحصول على الغنائم والجزية وتحقيق الشهرة والمجد.
- وجه جهوده بداية ضد المملكة الحورية الميتانية التي كانت تسيطر على شمال سورية مستغلا الضعف بسبب النزاعات الداخلية, فسيطر على بلاد آشور الواقعة في منطقة الفرات الأوسط ثم اتجه نحو أوجاريت بذريعة حمايتها من جيرانها واتجه نحو قطنة ودمرها. نتيجة لذلك عقد معه عزيزو ملك أموري معاهدة وصل بعدها إلى دمشق. وبعد أن أتم السيطرة على القسم الشمالي من سورية اتجه نحو كركميش وحاصرها فسقطت بأيديهم وهجر سكانها. وتم اختيار كركميش مقراً لنائب الملك الحثي لموقعها الاستراتيجي معبراً على نهر الفرات, وسيطرتها على الطريق التجاري المؤدي إلى الأناضول, إضافة إلى قربها من جبال طوروس الغنية بأخشاب الأشجار الصنوبرية.

في هذه الأثناء وصلت رسالة إلى شوبيلولوميا وهو يحاصر كركميش من أرملة توت غنخ آمون فرعون مصر تقول: (( مات زوجي وليس لي ابن, ويقولون عنك إن لك أبناء كثيرين, فإذا أرسلت لي أبنائك فإنه يستطيع أن يصبح زوجي وأجعله ملكا على مصر, ولن أقبل بأي حال من الأحوال أن أتزوج من رعاياي, فإن ذلك شيء أمقته)).

ربما أرادت أرملة توت غنخ آمون من وراء ذلك المحافظة على ماتبقى من نفوذ مصري في سورية والتخلص من الطامعين في العرش, وهو بالوقت نفسه اعتراف بالقوة الحثية الجديدة في المنطقة.

غير أن المصريين الذين كانوا يأنفون مصاهرة الملوك الأجانب ساءهم تصرف الملكة فاغتلوا الأمير الحثي قبل وصوله إلى مصر، واعتلى العرش أحد الضباط الكبار المدعو (آي) فساد الحثيون في الشمال والمصريين في الجنوب وكانت مدينة جبيل على الساحل هي الحد الفاصل بينهما.



معركة قادش 1275 ق.م.  
(المسير إلى أرض فنيتيا)

## ذروة الصراع:

بلغ الصراع ذروته في عهد رمسيس الثاني الذي وصل نهر الكلب شمال بيروت وأمر بنقش ثلاث كتابات تخلد ذلك. حدث الصراع المعروف بمعركة قادش بين المصريين والحثيين في العام الخامس من حكم رمسيس الثاني 1275 ق.م.

أما الحثيون فقد اتخذوا من مدينة قادش ذات الأهمية الإستراتيجية الكبيرة والمعروفة بأنها بوابة شمال سورية مركزاً لعملياتهم ومحاولات تقدمها نحو الجنوب.

وقد اعتمد الملك الحثي خطة بأن أرسل بدويان تظاهرا بأنهما هربا من الجيش الحثي الذي غادر قادش إلى منطقة حلب وعسكر هناك. فاعتقد رمسيس أن ذلك فرصة للسيطرة على قادش، وبالفعل حدثت المفاجأة إذ هاجمت الجيوش الحثية معسكر الفرعون، وكادت تلحق به هزيمة لولا ثباته، على الرغم من شدة المعركة فيبدو أنها لم تؤدي إلى نتائج حاسمة.

وتقول المصادر المصرية أن الملك الحثي أرسل رسولا إلى رمسيس يعرض عليه وقف القتال ويخاطبه بلهجة استعطاف ومذلة، فاستجاب لطلبه لعدم قدرته على متابعة القتال، وبذلك انتهت معركة قادش دون أن تحدث تغييراً جذرياً في مناطق النفوذ، فالفرعون المصري لم يدخل قادش التي بقيت بيد الحثيين، وأحكم الحثيون سيطرتهم على مملكة أمورو، وتراجع النفوذ المصري في سورية إلى جنوبي الخط الوهمي الممتد من جبيل على الساحل إلى دمشق في الداخل.



وقد خلد رعمسيس هذه المعركة بالكلمة والصورة على جدران معابد الكرنك والأقصر أبي سمبل، وأمر بكتابتها على ثلاث برديات للذكرى والتفاخر. وتعد من أكثر الأحداث العسكرية في تاريخ الشرق القديم التي تتوفر عنها معلومات مكتوبة وأثرية.







كما سجل الحثيون أيضا أخبار هذه المعركة في العديد من النصوص وصوروها على أنها نصر لهم أيضاً.

عاد رعمسيس الثاني إلى سورية بعد ثلاث سنوات من معركة قادش إثر تمردات نشبت في فلسطين واستعاد جزءا من أمور , هنا لم يستطع الحثيون التدخل بسبب ضعفهم.

في هذه الفترة تلاشى الخلاف بين الفرعون المصري والملك الحثي, لماذا؟

بسبب ظهور المملكة الآشورية الوسطى كقوة كبرى في الشرق القديم و تهديد النفوذ المصري

الحثي.

فعقدا معاهدة سلام وإخوة تنص على تعهد كل مملكة بعدم الاعتداء على حدود المملكة الأخرى

- احترام كل طرف للآخر - مساعدة بعضهم عسكرياً- وبتسليم اللاجئين السياسيين والفارين مهما كانت

مراتبهم الاجتماعية سواء كانوا من العظماء أو الضعفاء. وعدت الآلهة المصرية والحثية شهودا على

المعاهدة وصبت اللعنات على من يخرق المعاهدة وينكث بالعهد.

نتيجة لهذه المعاهدة انعدم الأمل بالنسبة للسوريين في العثور على أي مساعدة خارجية عند

القيام بأي محاولة للتخلص من السيطرة الأجنبية وبالتالي تقوية السيطرة الحثية المصرية على سورية.

دعم السلام بين الطرفين بعد ثلاثة عشر عاماً من توقيع المعاهدة عندما أرسل الملك الحثي ابنته الكبرى إلى مصر لتكون زوجة الفرعون المصري, وعبرت النصوص عن ذلك الزواج السياسي بالقول (( وأصبح الملكان قلباً واحداً كأخوين ولم تعد هناك حفيظة في قلب احدهما على الآخر)).

### المملكة الآشورية الوسطى وسورية

ظهرت الدولة الآشورية الوسطى قوة معتبرة في الشرق القديم على يد ملكها آشور أوباليط الأول Assur-ubalit 1 الذي استطاع التحرر من مملكة حوري ميثاني وإقامة علاقات ودية مع الفرعون المصري أمنحوتب الرابع ( أخناتون) ومع ملك بابل الكاشي.



بعد فترة ضعف دامت أقل من قرن عادت آشور للظهور مرة أخرى في عهد تيكلات بيليسر الأول Tiklat- pilesser1 الذي لم يكتف بتوسيع حدود المملكة الآشورية باتجاه الشمال والشرق بل اتجه غرباً نحو سورية حيث غابات الأرز والسرو والصنوبر اللازمة لأعمال البناء وخاصة بناء القصور والمعابد.

وقدمت له مدن جبيل وصيدا وأرواد فروض الطاعة دون قتال, وقد أخضع شمالي سورية بكامله لسلطته فاتحاً بذلك للأشوريين الوصول إلى سواحل البحر المتوسط الشرقية.  
لكن السيطرة الآشورية على سورية تراجعت بعد انهيار ملكها ودخول المملكة الوسطى مرحلة الضعف ثم الانهيار في العام 911ق.م.

